الدورة العلمية

تساؤلات وشُبهات

متعلِّقة بالقرآن الكريم

لفضيلة الشيخ د. محمد هشام طاهري

رابط الدورة في اليوتيوب:
https://www.youtube.com/watch?v=_l٣SNP١
d٨R-t٢NPufhp٥٤WLFx-ovHVbHgD٨RTdE&list=PLcHCz

ملحوظة: الشيخ لم يطلع على التفريغ لأي ملاحظة التواصل مع

(٠٠٩٦٥٥٠١١٠١٣٠)

المجلس الأوَّل

الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله وسلَّم وبارَك وأنعَم على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد...

فنحمَد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى على ما مَنَّ به علينا وعليكم من نعمة الإسلام والإيمان، ونعمة السُّنَّة، ونعمة القرآن، ونسأله جَلَّ وَعَلَا الثبات حتَّى نلقَى الرحمن -جلَّ في عُلاه- يوم القيامة.

ثم بادئ ذي بدء أشكُر الإخوة القائمين على مركز «سُرُج» لدراسة المذاهب الفكرية المعاصرة، وأسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أن يبارك في جهودهم، وأن ينفَع بنا وبهم الإسلام والمسلمين.

هذه الدورة المباركة -وخلال ثلاثة أيام- كلُّها في مسائل ربَّما يُلقِيها بعض المُلبسِين، أو يُلقِيها بعض شياطين الإنس والجِنِّ، أو يتوهَّمه بعض الناس في كتاب الله جَلَّ وَعَلَا؛ هذا القرآن الذي هو كلام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [سورة فصلت، من الآية:٤٢].

وإذا علِمْنا أنَّ القرآن نزَلَ على النبيِّ الأُمِّي الذي لم يقرأ ولم يكتُب كما قال الله عَزَّوَجَلَّ عنه: ﴿وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [سورة العنكبوت، من الآية:٤٨]، وكما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ﴾ [سورة الأعراف، من الآية:١٥٧].

كما قال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لَا نَقْرَأُ وَلَا نَكْتُبُ**»؛ فمَن علِمَ حال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ-، وأنَّه لم يجلس عند شخصٍ ليتعلَّم، ولم يُعرَف -وهو لَبِثَ في قومه أربعين سنة- لا بشِعرٍ ولا بنَثْرٍ؛ فقد كانت المسابقات الشِّعرية في المعلَّقات وغيرها تُقام ويختار الفصحاء من قريشٍ وغيرهم معلَّقاتٍ يجعلون لأهلها وأصحابها الجوائز، ويُعلِّقونها في الكعبة لِمَا فيها من الفصاحة والبلاغة والمعاني والبديع.

وهكذا كانت لهم مسابقاتٌ شِعريَّة يُعطُون فيها الجوائز، ويوزِّعون فيها الأُعطيات كما في أسواقهم «عكاظ، ذو المِجنَّة»، وغيرها.

وكان النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- معروفًا بين قومه بأنَّه لم يقرأ ولم يكتُب، كما قال جَلَّ وَعَلَا عنه: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [سورة يونس، من الآية:١٦]؛ وهذا بالنسبة لزمان النزول.

وأمَّا نحن اليوم إذا أردنا أن ننظُر نظرة تجرُّدٍ إلى أنَّ القرآن المُنزَّل على محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آية من آيات الله؛ لِننظُر إلى حديثه عن السماوات حيث لم يصِلْ إلى دقَّة أوصاف ذلكم الحديث إلَّا علماء الفلكيُّون، ولننظُر إلى دقَّة حديثه عن البحار: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [سورة الرحمن، من الآية:٢٠]، ﴿ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ﴾ [سورة النور، من الآية:٤٠]، ﴿مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ﴾ [سورة النور، من الآية:٤٠].

ولننظُر إلى دقَّة وَصْفه للأرض، والشمس، والقمر ممَّا كان يُنكره أهل ذلكم الأزمنة، وأصبح اليوم معلومًا مُشاهَدًا.

ولننظُر إلى دقَّة وَصْف القرآن لخَلْق الإنسان في بطن أُمِّه.

هذا من حيث المعاني.

وأمَّا من حيث السَّبْك: فإنَّ القرآن لأنَّه كلام الله يأخُذ بلُبِّ ذوي الألباب؛ فتجد الرجل الصيني، والغربي، والشرقي، والرُّوسي، والتُّركي يقرأُ القرآن وهو لا يفهم منه أو من معانيه إلَّا النَّذر اليسير؛ ومع ذلك يتلذَّذ بقراءة القرآن وهو أعجميٌّ لا يفهم؛ ما السرُّ في ذلك؟ لماذا لا نتلذَّذ نحن بقراءة أي كتابٍ في أي لغةٍ حتى نفهم المعنى؟

بل ربَّما إنَّ أحدنا لو قرأ صفحةً أو صفحتين ممَّا يستطيع تهجِّيه من أي لغةٍ أخرى ولا يفهم معناه؛ فيُظهِر المَلال، فيتبيَّن عليه الكَلال، ويقول: خذوا عنِّي هذا الكتاب، لا أفهم منه شيئًا.

فالمُنصِف النَّاظر إلى القرآن يستيقن إذا نَظَر إلى معانيه أنَّه كلام الله؛ فلم يُخالف منذ ألفٍ وأربعمائة (١٤٠٠) سنة من يوم نزوله إلى الآن شيئًا من الحقائق العلميَّة.

ولو نظرنا إلى تشريعه اليوم في البُلدان المتحضِّرة يجتمع المُشرّعُون وهُم أحيانًا يصِلُون للعشرات بل والمئات، ويضعون قوانين ثم يُغيِّرونها بين الفَيْنة والأخرى.

والقوانين الموجودة في القرآن قوانين عامَّة صالحة لكلِّ زمانٍ ومكان، لا يمكن للبشر الإتيان بمثل هذا لا قديمًا ولا حديثًا ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة البقرة، الآية:٢٣].

﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾:

- من حيث المعنى.
- من حيث العلم.
- من حيث التشريع.
- ومن حيث السَّبْك.
- ومن حيث الأَخْذ بالقلوب.
- ومن حيث الأمر بالتعقُّل والتفكُّر والتدبُّر.

كتابٌ يجمع بين مخاطبة القلوب؛ فيأخُذ بالألباب.

كتابٌ يجمع بين مخاطبة العقول؛ فيُنوِّرها، فيجعلها تتفكَّر، تتعقَّل.

يأمُر بكلِّ خيرٍ عاجلٍ وآجلٍ، ويَنهَى عن كلِّ شرٍّ عاجلٍ أو آجلٍ.

يأمُر بالعدل، يأمُر بالقِسط، يأمُر بالمعروف ويَنهَى عن المُنكَر.

كتابٌ هذا وَصْفه حُقَّ للمُنصِف ولو كان مُشركًا كالوليد بن المُغيرة (فيلسوف قريش) الذي كان يسمع القرآن وقد كان عليمًا -وانتبه لكلمة «قد كان عليمًا»- بالشِّعر، وبالنَّثر، وبكلام العرب، وكاد أن يُسلِم لولا تكبُّره وتجبُّره، وهو الذي اشتهَرَ عنه أنَّه قال عن القرآن: "إنَّ له لَحلاوة، وإنَّ عليه لَطلاوة، وإنَّ أعلاه مُثمرٌ، وأسفله مُغدِقٌ".

قرآنٌ تجد فيه عَيانًا بَيانًا أنَّه من عُلو، يُخاطب الأنبياء مخاطبة العليِّ لمَن هو دونه.

يُخاطب النَّاس مخاطبة السيِّد لعبيده:

﴿يَٰٓـَٔادَمُ﴾ [سورة البقرة، من الآية:٣٣].

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [سورة الأعراف، من الآية:٢٦].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [سورة البقرة، من الآية:٢١].

﴿يَٰنُوحُ﴾ [سورة هود، من الآية:٣٢].

﴿يَٰهُودُ﴾ [سورة هود، من الآية:٥٣].

﴿يَٰصَٰلِحُ﴾ [سورة هود، من الآية:٦٢].

مهما نتكلَّم عن القرآن من حيث كونه آية؛ فالأمر كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ القرآن آيةٌ من جهاتٍ متعدِّدة؛ وإنَّما تكلَّم مَن تكلَّم من الجهة التي وَصَلَ إليه عِلمه» أو كما قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ولهذا وَصَفَه الله بأنَّه «مباركٌ»: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ [سورة الأنعام، من الآية:٩٢].

وَصَفَه بأنَّه «هُدًى».

وصَفَه بأنَّه «نور».

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [سورة الشورى، من الآية:٥٢]؛ فوَصَفه بأنَّه «رُوح».

﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾[سورة الشورى، من الآية:٥٢].

كتابٌ ليس له مثيلٌ في الحِفظ يحفظه مَن لا يفهمه، أكثر كتابٍ محفوظٍ في العالَم في الصدور هو القرآن، وعلى أوجهٍ وقراءاتٍ متنوعةٍ مختلفة في الأداء.

وهو أكثر كتابٍ مطبوعٍ في العالَم لا تجد بينما كُتِبَ منه في القرن الأول الهجري، وما كُتِبَ منه الآن، وما سيُكتَبُ منه بعد الآن أيَّ تناقُضٍ وأي اختلاف ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [سورة الحجر، من الآية:٩].

هو يُطبَع في الصين: تجدُ خطَّه ربَّما يكون مُغايِرًا، وهو نفسه المكتوب بالخط الكُوفيّ.

ويُطبَع في باكستان: تجدُ خطُّه مُغايرًا، وهو نفس ما كُتِبَ بخطِّ الرِّقعة.

تجده مكتوبًا في المغرب بخط المغرب والأندلُس؛ لكنَّه نفس الخط المكتوب المطبوع في بلاد فارس؛ لأنَّ الله جَلَّوَعَلَا قال: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [سورة القيامة، من الآية:١٧]؛ علينا وليس على غيرنا.

وفي هذه المحاضرة نتحدَّث عن ثلاثة مسائل بصورةٍ مختصرة:

المسألة الأُولى:

وجود ما قد يُزعَم أنَّه تعارُضٌ في القرآن

وهذا المعنى دفَعه الله جَلَّوَعَلَا فقال: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [سورة البقرة، من الآية:٢].

ومن معاني ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ ؛ أي: لا شكَّ فيه؛ فلا يَرِد عليه الشكُّ والاحتمال.

فإن ظنَّ ظانٌّ وجود التعارُض؛ فإنَّه في عقله وفِكْره؛ ولهذا قال جَلَّوَعَلَا: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء، من الآية:٨٢].

وأنا أُمثِّل الذي يزعُم بأنَّ في القرآن تعارُضًا أو اختلافًا برجلٍ عامِّيٍّ تعلَّم القراءة والكتابة باللغة الإنجليزية، فنظَرَ في كُتب الطب المكتوب بالإنجليزية فظنَّ التعارُض، وليس ذاك من تخصُّصه.

فهنا التعارض لو كان في القرآن تعارُض لهبَّ قريشٌ وأظهروا ذلك لعامَّة الورَى من حيث العموم، ولأهل القرى (أهل مكة) من حيث الخصوص؛ لكنَّا نجد أنَّهم فَزِعوا إلى سيوفهم؛ لأنَّهم لم يستطيعوا أن يجدوا تناقُضًا في شَرْع الله عَزَّوَجَلَّ، فضلًا عن أن يجدوا تناقُضًا في القرآن الكريم.

ومن هنا لا بد أن نُدرك أنَّ أيَّ اختلافٍ بين آيةٍ وأخرى، أو أيَّ تضادٍّ بين مدلول آيةٍ وأخرى لا بد أن يجزِم المؤمن أنَّ ذلك بسبب قصور بصيرته؛ فهو كالمُصاب في عينه يَرى الشيء شيئَيْن، أو يَرى

العامود المستقيم معوجًّا، أو يَرى الشيء الواضح مغبرًا؛ فليس العيب فيما وضُح، ولا في العامود المستقيم؛ وإنَّما العيب في عينه.

وإذا كانت الأعيُن تخدع أصحابها بالعِلل؛ فإنَّ البصائر تنخدع بالعلل الواردة عليها لا سيَّما على مَن لم يعتبر بالسُّنَّة اهتداءً، ولم يعتصم بالهَدْي النبويِّ اهتداءً.

ولهذا نجد أنَّ الصحابة -رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ- لمَّا يقرأون القرآن نجد أنَّ إشكالاتهم في القرآن قليلة ونادرة، والسبب في ذلك: قوتهم العِلميَّة، وفصاحتهم البلاغيَّة، ولغتهم السليقيَّة دفعَتْ عنهم هذه التوهُّمات التي توهَّمها مَن جاء بعدهم من الخليقة، سواءً كانوا من أهل البِدعة والضلالة، أو من أهل الكُفر والانحلال، أو من أهل الإلحاد.

ولنضرب مثلًا بما قد يتوهَّم فيه الخلاف والاختلاف والتَّضاد من قِبَل بعض الناس:

زعم بعض النصارَى من الرُهبان وغيرهم أنَّ القرآن فيه دِلالةٌ على الثالوث -عياذًا بالله-، فقِيل له: وأين ذلك؟ قال: أليس في القرآن ﴿إِنَّا﴾ و ﴿نَحْنُ﴾؟ فهذا يدلُّ على الجَمْع، والجمع ثلاث، هذا أقلُّه.

فهذا الرجل ومَن على شاكلته نظَرَ بعينٍ عوراء إلى آيةٍ أو كلمة موافقة لِمَا في قلبه فقدَّمها على صريح القرآن: ﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [سورة فصلت، من الآية:٦]، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص، من الآية:١]، ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [سورة النحل، من الآية:٣٦]، ﴿وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [سورة الرعد، من الآية:١٦].

ووُجِدَ من الخوارج في زمن ابن عباس -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا- مَن قد توهَّمَ الاختلاف، فقال بعض الخوارج لابن عباس: إنَّ في القرآن ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [سورة المعارج، من الآية:٤]، وفي موضعٍ آخر ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [سورة السجدة، من الآية:٥]!

وهنا لا بد لطالب العلم أن ينتبه! أنَّ الحديث في جهتين لا يُتصوَّر فيهما التعارُض، وأنَّ الحديث في موضوعين لا يُتصوَّر فيهما التعارُض؛ وإنَّما التَّعارُض يكون إذا كان الكلام في جهةٍ واحدة.

فلو قرأنا في القرآن: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:٤٣]، وقرأنا في القرآن: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [سورة البقرة، من الآية:١٨٣]، ثم قرأنا أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ**

فَقَاعِدًا»؛ فهذا ليس تعارُضًا؛ لأنَّ «**صَلِّ قائِمًا**»، و ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ في حال، و «**صَلِّ قَاعِدًا**» في حال.

﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾؛ في حال الصحَّة والإقامة، ويجوز الفِطر لمَن مَرِضَ أو سافَر؛ إذًا هذا ليس بتناقُض.

وهكذا لمَّا يُخبر الله جَلَّوَعَلَا عن الكُفَّار أنَّهم لا يتكلَّمون يوم القيامة، ويُخبر في موضعٍ آخر أنَّهم يقولون ويتكلَّمون؛ هذا ليس تناقُضًا؛ لأنَّ ظرف القيامة ليس لحظةً واحدة لا يُتصوَّر فيه إلَّا كلام الله، فهُم لا يتكلَّمون في وقت ويتكلَّمون في وقتٍ آخر.

يُسكَتون في وقتٍ، ويُؤمَرون بالنُّطْق في مكانٍ آخر.

لا يُسألون في وقت، ويُسألون في موضعٍ آخر.

وهنا لا بد أن نُدرك أنَّ ما قد يُوهم الاختلاف هو نوعٌ من أنواع المتشابه، والواجب على العامِّيِّ والمثقَّف (انقطاع في الصوت ٢٤:٤٤) القرآن الكريم ما هو مُشكلٌ مُطلقًا؛ وإنَّما المُشكل الموجود هو من وجهٍ دون وجه، أو في حقِّ بعض الناس دون بعض.

فليس في القرآن الكريم، بل ولا في الشَّرع ما يُعارض العقل الصحيح.

وليس في القرآن الكريم، بل ولا في الشرع ما يُعارض الذوق السليم.

وليس في القرآن الكريم، بل ولا في الشَّرْع ما يُعارض الحس الصادق.

ولذلك نجد أنَّ علماء الإسلام قديمًا وحديثًا ألَّفوا مُصنَّفاتٍ في مُشكِل القرآن، أو ما قد يُتوهَّم منه التعارُض، ومن أوائل هؤلاء:

الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في الردِّ على الجَهميَّة؛ فإنَّه ذَكَرَ آياتٍ أُشكِلَتْ عليهم، وبيَّن المراد منها.

ثم سار على مِنواله تلميذه وأحد كُتَّاب أهل السُّنَّة وخُطبائهم: العلَّامة ابن قُتَيْبَة الدَّيْنَوَري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وألَّف كتاب [**تأويل مُشكِل القرآن**]، وهذا الكتاب أذكُر أنِّي قرأته قديمًا بعد كتاب الصابوني، ووجدتُه من أنفع الكتاب [**تأويل مُشكِل القرآن**] لابن قُتَيْبة الدَّيْنوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وأَلَّف أبو الحسن الطبري صاحب الأشعري كتابًا بعنوان [**مُشكِل الآيات**]، وهكذا ابن فَورك، وابن درستويه.

ومن أنفع وأجمَع ما كُتِبَ في هذا الباب: كتاب شيخ الإسلام الذي طُبِعَ بعنوان [**تفسير آياتٍ أُشكِلَتْ**] لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

ومن المتأخِّرين: شيخ مشايخنا العلَّامة المُفسِّر اللُّغوي البارع المُفوَّه محمد الأمين الشنقِيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ صاحب [**الأضواء**]، قد أَلَّفَ كتابًا جميلًا، وهو موجود مطبوعٌ ضِمن، ومع تفسيره المعروف وهو بعنوان -أعني: كتابه في مُشكِل القرآن، أو فيما قد يُتوهَّم فيه التعارُض- [**دَفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب**].

وقد وقفتُ على كلمةٍ لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّه قال لخصومه مرةً: "أُمهلكم سنةً على أن تأتوا بشيءٍ يُخالِفُ ما كتبته في العقيدة" يعني به: الواسطيَّة؛ وهذه الكلمة أعجبتني.

وكنتُ أسمع شيخنا أبا زكريا عبد السلام الرُّستمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى صاحب التفسير المعروف أنَّه كان يقول: "أنا أتحدَّى أي إنسان أن يأتي بآيةٍ لا أستطيع الجمع بينها وبين الآية الأخرى".

وهذا حقٌّ لا مِرية فيه؛ فليس بين آيات كتاب الله المُنزَّل أي تعارُض؛ بل -هذا الكلام أنا أقوله- لا يوجد تعارُض بين القرآن والسُّنَّة، ونحن نثقُ تمامًا أنَّ الحديث الصحيح لا يمكن أن يُعارِضَ مدلول الآيات أبدًا، فضلًا عن منطوقها؛ وذلك لأنَّ القرآن ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [سورة فصلت، من الآية:٤٢]، ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [سورة النساء، من الآية:١٦٣]؛ وحيٌ من الله، والسُّنَّة وحيٌ من الله لنبيِّه؛ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [سورة النجم، الآيتان:٣،٤].

أنتقل إلى مسألةٍ أخرى وهي:

مسألة وجود المُتشابه في القرآن

فإنَّ بعض المُغرضِين والمُعرضِين ينكتُون على القرآن ويتكلَّمون: **لماذا يوجد التشابُه في القرآن الكريم؟**

وهذه المسألة -أعني: وجود التشابه في القرآن الكريم- لا بد من تجلِّيه، ومن فَهْمه على وجهه، ومعرفة الاعتقاد الصحيح فيه، وذلك على النَّحو الآتي:

أولًا: لا بد أن نعتقد أنَّ القرآن كلَّه مُحكَم؛ فالله جَلَّوَعَلَا وَصَفَ كتابه كلَّه بالمُحكم؛ فقال سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [سورة هود، من الآية:١].

إذًا هو كتابٌ مُفصَّل مُحكَم، والإحكام ها هنا:

بمعنى: الإتقان والبلاغة.

وبمعنى: كونه آية ومعجِزة.

وبمعنى: كونه لا يوجَد فيه ما يُخالف الحقَّ والواقع.

والإحكام أيضًا فيه: أنَّه مُتقَنٌ؛ فأوامره على منوالٍ واحد، لا يأمُر بأمرٍ ثم يُناقضه، ولا ينهَى عن شيءٍ ثم يُناقضه.

وأيضًا لا بد أن نعتقد أنَّ الله وَصَفَ القرآن كلَّه بأنَّه متشابه، وهذا الوَصْف:

- من حيث أنَّ حروف القرآن متشابهة.

- ومن حيث أنَّ كلمات القرآن متشابهة.

- ومن حيثُ أنَّ آيات القرآن متشابهة.

لكنَّ مدلولاتها متنوعة، وهذا وجهٌ من أوجُه الإعجاز: أنَّ الحروف والكلمات، والسَّبْك والعبارات واحدة؛ ومع ذلك لا نجد اختلافًا في المدلول.

وسأضرب لكم مثلًا على ذلك: لو قلنا لشخصٍ ما: قُصَّ لنا قصة فلان؛ فقَصَّها علينا وسجَّلناها. ثم قلنا له: قُصَّ علينا هذه القصة من وجهٍ آخر. فبمجرد ما أن يقُصَّه بطريقةٍ أخرى إلَّا وتجدُ فيه التناقُض؛ لأنَّ هذا هو حال البشر.

أمَّا القرآن المُنزَّل على النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ تجِدُ أنَّ القصة الواحدة مثل قصة موسى عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ -وهي أكثر قصةٍ في القرآن كُرِّرَتْ- لا تجِدُ بينها تناقُضًا أبدًا مع أنَّ المُخبَر والمِحوَر واحد؛ فهذا من أوجُه التشابه.

وأيضًا القرآن متشابه، يُشبه بعضه بعضًا في الإحكام، يُشبه بعضه بعضًا في الاتقان.

وهناك تقسيمٌ آخر لا بد أن ننتبه له، وقد ذَكَرَ الله ذلك في القرآن، ذَكَرَ أنَّه كلَّه متشابه كما قال: ﴿مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [سورة الزمر، من الآية:٢٣]؛ مكرَّراتٍ متشابهات.

ووَصَفَ بعضه بالمُحكَم، والبعض الآخر بالمتشابه.

وهنا يأتي الاعتراض من بعض الناس: لماذا لم يكن القرآن كلُّه مُحكمًا بمعنى يفهمه العلماء على وجهٍ واحد لا يختلفون فيه؟ كما قال جَلَّوَعَلَا:

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:٧]؛ الأصل هو الأكثر، ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:٧].

إذًا القرآن الأصل فيه الإحكام، وهو الذي لا يحتمل إلَّا معنًى واحدًا، والبعض فيه متشابه، والتشابه في القرآن الكريم لحِكَمٍ عظيمة، لا بد أن نُدرك أنَّها لحكمة.

وهذا التشابُه قد يكون في الأسماء المشتركة، مثل كلمة ﴿ٱلْعَيْنِ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:١٣]؛ جاءَتْ في القرآن الكريم إطلاق ﴿ٱلْعَيْنِ﴾؛ على: الباصرة.

وجاء في القرآن الكريم إطلاق ﴿ٱلْعَيْنِ﴾؛ على: المياه النابعة.

فهذا تشابُه؛ لكن تشابهٌ نسبيٌّ، في الأسماء المشتركة لا بد منها، ولا يوجد في القرآن متشابهٌ مُطلقٌ أبدًا.

كذلك في القرآن الكريم من التشابُه ما قد يُوجد في الأسماء المتواطئة، فجاء إطلاق كلمة ﴿ٱلنُّورِ﴾؛ على: القرآن.

وجاء إطلاق كلمة ﴿ٱلنُّورِ﴾؛ على: الشمس.

وجاء إطلاق كلمة ﴿ٱلنُّورِ﴾؛ على: النار.

وجاء إطلاق كلمة ﴿ٱلنُّورِ﴾؛ على: النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وجاء إطلاق كلمة ﴿ٱلنُّورِ﴾؛ على: الإيمان.

وجاء إطلاق كلمة ﴿ٱلنُّورِ﴾؛ على: الملائكة؛ «خُلِقُوا مِنْ نُورٍ» كما في الحديث.

وجاء إطلاق كلمة ﴿ٱلنُّورِ﴾؛ على: الربِّ جَلَّوَعَلَا؛ ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [سورة النور، من الآية:٣٥].

فهذا يفهمه الراسخون في العلم؛ كما قال جَلَّوَعَلَا: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:٧]؛ على قراءة الوقف على كلمة: ﴿ٱلۡعِلۡمِ﴾.

وفي القرآن الكريم من المتشابه أيضًا

- **النَّاسخ والمنسوخ**: ويعلمه الراسخون في العلم.
- **والوَعْد والوعِيد.**

فمثلًا: قد يقرأُ مَن قلَّ فقهه أو أساء فَهْمه قول الله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ [سورة النساء، من الآية:٩٣] الآية؛ فيقول: إنَّ قاتل النَّفس كافرٌ، مُخلَّدٌ في النار؛ مع أنَّ هذا الكلام (قاتل النفس كافر) لم يقُلْه أحدٌ من السَّلف حتى ابن عباس المشهور عنه أنَّه لا يرى لقاتل النَّفس توبة لم يقُل عنه: «كافر»؛ وإنَّما قال: «ليس له توبة»؛ يعني يُؤاخَذ على جريرة هذا الذنب.

هذه الآية: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا﴾؛ يفهمه العلماء الراسخون بالعلم من أهل التفسير والحديث والفقه بأنَّ المقصود: مَن يقتُل مؤمنًا متعمِّدًا، أي: من الكُفَّار؛ فـ «مَنْ» من ألفاظ العموم، مرادٌ به الكُفَّار.

وتفسيرٌ آخر مرويٌّ، وهو معروف عن بعض علماء التفسير: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا﴾؛ أنَّ كلمة ﴿مُؤۡمِنٗا﴾؛ مقصودة أي: مُستحلًّا دمه؛ لأنَّه مؤمن، فهو لم يقتُله لأنَّه عدو وإنَّما قتَله لأنَّه مؤمن؛ فلا شكَّ أنَّ الإنسان إذا قَتَلَ إنسانًا لكونه مؤمنًا فهذا مستحيلٌ لقَتْله؛ فيُخلَّد في النار.

أمَّا لو قَتَله لأنَّه يرى عداوته، وليس لكونه يستحلُّ دمه، ولا تأويل عنده؛ فهذه مسألةٌ أخرى.

إذًا يُتصوَّر وجود الإشكال في الوَعْد والوعيد، وكذلك في المُجمَل والمُبيَّن.

وهناك نوعٌ لا يفهمه حتى الراسخون في العلم من التشابُه، وهو: **كيفيات مآلات الأخبار، كيفيات وقوع الأخبار الغَيْبيَّة الأخرويَّة.**

فمثلًا: الراسخون في العلم -فضلًا عمَّن دونهم- يقرأون قول الله جَلَّوَعَلَا: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [سورة القارعة، الآيتان:٤،٥]؛ فيقولون: كيفية وقوع هذا الأمر غيبٌ مُطلَق لا يعلمه إلَّا الله، كيف يُصبح الإنسان الذي وزنه من الأربعين فما فوق كالفراش المبثوث؟!

كيف تُصبح هذه الجبال الصُّم الثِّقال كالعِهن المنفوش؟

يقولون: هذا من المتشابه المُطلق، كيفيات وقوع مآلات الأخبار الغيبية.

ولهذا قال جَلَّوَعَلَا: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [سورة الأعراف، من الآية:٥٣]؛ فلمَّا يقع تأويل الغيبيَّات يتذكَّرُون حينئذٍ معاني الآيات.

وأيضًا من المتشابه المُطلَق كيفيات صفات الباري جَلَّوَعَلَا؛ فالمسلم يقرأ في القرآن أنَّ الله جَلَّوَعَلَا خَلَقَ السماوات والأرض؛ كيف خلَقَهما؟ لا يعلم إلَّا بالقَدْر الذي أخبره الله؛ لماذا؟

لأنَّه خلَقَ فِعله، والفِعل صفته، وصفة الربِّ جَلَّوَعَلَا لا يمكن الإحاطة بكيفياتها، لا يمكن الإحاطة بكيفيات صفات الله جَلَّوَعَلَا.

يقرأ قول الله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [سورة الفجر، الآية:٢٢]؛ يفهم معنى المجيء ويُفسِّره بمعنى: Come

أو بمعنى: آمد؟

أو بمعنى: gel

ولكن لا يفهم كيف جاء؛ لأنَّه صفةٌ للربِّ جَلَّوَعَلَا غير؛ فلا يخوضون في كيفيات الصفات ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى، من الآية:١١].

إذًا التشابُه المُطلَق لا يعلمه أحدٌ إلَّا الله جَلَّوَعَلَا.

أمَّا التشابه النسبي فيعلمه العلماء الراسخون في العلم.

فالواجب على المسلم أن يعتقد أنَّ القرآن:

مشتملٌ على المُحكَم: وهو الأصل فيه.

ومشتملٌ على شيءٍ من المتشابه: فيقبله نصًّا، فيتوقَّف في حُكمه حتى يتبيَّن مراده إن كان أمرًا أو نَهْيًا، أو يترُك الخوض فيه إن كان خبرًا.

والمذموم في تتبُّع المتشابه هو: مَن يتتبَّعه لا للعمل به؛ بل لإيجاد الفُرْقة، أو للتطلُّع لِمَا يجب التوقُّف فيه من الغيبيات، وهذا من علامات أهل البِدَع؛ فتارةً يُحرِّفُون، وتارةً يُعرِضُون، كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:٧].

ونحن نُجيبُ على مَن يقول: لماذا وُجِدَ المتشابه في القرآن؟ فنقول: إنَّما جيءَ بالمتشابه في القرآن لأجل الامتحان، لأجل الابتلاء، فلو كان القرآن كلُّه مُحكَمًا لم يُتصوَّر وجود الخِلاف، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قادرٌ كما جعَلَ أصل القرآن وأكثره مُحكمًا أن يجعله كلَّه مُحكَمٌ؛ لكن لم يفعل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لحِكمة الابتلاء.

ولتمايُز الناس في العلم؛ فالراسخون في العلم يعلمُون المتشابه النِّسبي، وغيرهم لا يعلمون.

ولهذا نقول: إنَّ الله جَلَّ وَعَلَا قادرٌ على أن يُلزِمَ الناس بالإيمان، كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ [سورة الشعراء، من الآية:٤]؛ فلمَّا لم يُلزمهم بالإيمان وإنَّما رغَّبهم ورهَّبهم؛ علِمْنا أنَّ ذلك للاختبار.

كذلك -جلَّ في عُلاه- هو قادرٌ أن يجعل قرآنه كلُّه مُحكَمًا، وجعَلَ فيه بعض المتشابه للامتحان؛ فيتمايَز المؤمن الموقِن من المنافق المرتاب.

يتمايَز مَن يستسلمُ لربِّه -جلَّ في عُلاه- ومَن يترُك المُحكَمات لأجل المتشابهات.

وهنا أجدني مضطرًّا أن أختِمَ فأقول: إنَّ عامَّة الناس الذين يقرءون القرآن لا يشعرون بوجود المتشابه؛ وذلك:

- إمَّا لقوة إيمانهم.
- وإمَّا لأنَّهم ليسوا من أهل العلم وإنَّما من أهل التلاوة والأماني.

وإنَّما الذين يعرفون أو تَرِدُ عليهم المتشابهات هُم الذين صاروا مدَّعِين للعلم، أو من أنصاف العلماء؛ فتَرِدُ عليهم المتشابهات والمُشكِلات ولا يعرفُون الأجوبة عن الآيات.

هذا الذي وَسِعَ الوقتُ في بيانه. نكتفِي اليوم بهذا القَدْر إن شاء الله، ونُكمل في الغد ما يتعلَّق بتساؤلاتٍ أخرى حول القرآن الكريم.

نسأل الله جَلَّوَعَلَا أن يَزِيد في إيماننا، وأن يُثبِّتنا على دِيننا وعلى سُنَّة نبيِّنا محمدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

والحمد لله رب العالمين.

سبحانك اللهُمَّ وبحمدك. أشهد أن لا إله إلَّا أنت. أستغفرك وأتوب إليك.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدورة العلمية

تساؤلات وشُبهات متعلِّقة بالقرآن الكريم

لفضيلة الشيخ د. محمد هشام طاهري

ملحوظة: الشيخ لم يطلع على التفريغ لأي ملاحظة التواصل مع

(٠٠٩٦٥٥٠١١٠١٣٠)

المجلس الثاني

الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله وسلَّم وبارَك وأنعَم على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد...

حديثنا -أيُّها الإخوة- في هذه المُحاضرة عن كتاب الله جَلَّوَعَلَا [**القرآن الكريم**]؛ الذي أعجَزَ الفُصحاء والبُلغاء.

وإذا أراد الإنسان أن يعرف بلاغة القرآن وفصاحته من غير المسلمين؛ فنحن نطلُب منه أمرين:

➢ **الأول**: أن ينظُر إلى كلام الفصحاء والبلغاء في زمن نزول القرآن، مثل: «المعلَّقات السَّبع»، أو مثل: خُطَب الخُطباء الذين كانوا في زمن غير الجاهلية، ونحوها.

فيجد البَوْن الشاسع في بلاغة القرآن الخارج عن أسلوب بني الإنسان؛ فليس هو نَظْمٌ على منوال شِعر الناس، ولا هو نَثْرٌ على مثل كلام الناس، ليس فيه الفصاحة القحة التي تُحوِجُ الناس إلى البحْث والتنقيب في الغرائب؛ بل فيه الفصاحة المعتدلة التي فيها بُعْدٌ عن التقعُّر في الكلام، ورِفعةٌ عن السُّوقيَّة في الجُمَل.

وحينئذٍ ينتُج عن ذلك العِلم بأنَّ هذا القرآن خارجٌ عن قُدَر البشَر وفصاحتهم من جهة الأسلوب والبيان.

➢ **الأمر الثاني**: يُطالب من كان مُنصفًا أن ينظُر إلى الناس الذين يدرسون الابتدائيَّة، ثم المتوسِّطة، ثم الثانويَّة، ثم الجامعة، ثم الماجستير، ثم الدكتوراة من الأُدباء والبُلغاء وغيرهم، كلٌّ في مجال اختصاصه، يؤلِّف هؤلاء بعد مُدَّة هذه الدراسة على يدِ أُناسٍ متعدِّدِين، ثم يكتبون ما يكتبون؛ ومع ذلك نجد المؤاخذات على رسائلهم وكُتبهم.

والقرآن الكريم الذي أنزله الله جَلَّوَعَلَا على محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ النبي الأُمِّي؛ يستيقن المرء أنَّه كلام الله جَلَّوَعَلَا.

وحينئذٍ نُدرك أنَّ سؤالات المتسائلِين، وشُبهات المُلبسين ما هي إلَّا خيالاتٌ أو عقليَّاتٌ ملبوسةٌ بتلبيساتٍ، أو اعتراضاتٌ لا وجه لها، والإنسان يُدرك أنَّ مجرد التَّساؤلات الخياليَّة، والعقليَّات

المُلبَسة بالجدلية، والاعتراضات المبنيَّة على الشَّهوانيَّة والنفسية لا يمكن أن يكون تلكم الأمور حُجَّةً ولا بُرهانًا في ردِّ الحق.

فمن تخيُّلات المُتخيِّلين، واعتراضات المُلبسِين: ما ذَكرَه الله جَلَّوَعَلَا عنهم في كتابه أنَّهم تارةً قالوا: ﴿لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ [سورة الفرقان، من الآية:٣٢]، وتارةً قالوا: ﴿لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٖ﴾ [سورة الزخرف، من الآية:٣١].

وتأمَّلوا معي! أنَّ في خبر الله عن هؤلاء اعترافًا منهم بالقرآن؛ لكن وُجِدَ منهم الاعتراض في الإنزال، وكيفيته، ومحلِّه.

ومن هنا لا بد من التنبُّه إلى ما قد يسمعه المسلم المؤمن بكتاب الله جَلَّوَعَلَا، وينتبه هل هذا الذي وَرَدَ على ذهنه تخيُّلاتٌ مجرَّدة؟ أو عقليَّاتٌ مُلبَّسة؟ أو اعتراضاتٌ شهوانيَّة يطرحها ولا يُبالي بها؟

أمَّا ما قد يكون من التساؤلات ما يحتاج إلى جواب؛ فحينئذٍ لا بد من البحث عن القول الصواب في الردِّ على سؤالات المتسائلين.

ومن تلكم السؤالات:

❖ **قول بعضهم بوجود التكرار في كتاب الله جَلَّوَعَلَا.**

حتَّى إنَّ بعضهم ظنَّ أنَّ وجود التكرار سببٌ -عياذًا بالله- للطَّعن في القرآن، مع أنَّ في القرآن الكريم أسلوبًا بلاغيًّا كبيرًا يعرفه ذوو الاختصاص، وهو «الإيجاز والإطناب»؛ فإعجاز القرآن ظاهرٌ في:

✵ **الإيجاز:** ﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ [سورة فصلت، من الآية:٦]، ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ﴾ [سورة البقرة، من الآية:١٧٩]، وفي عموماته التي تعُمُّ المُكلَّفين.

✵ **وفيه الإطناب:** والإطناب قد يكون استطرادًا، وقد يكون تكرارًا.

ويُرَدُّ على مَن يقول أو يتساءل عن سبب وجود التكرار في القرآن: بأنَّ وجود التكرار -أو الإطناب على اصطلاح العلماء-، مع البقاء على القوة البلاغيَّة نفسها حين الإطناب هو وجهٌ من أوجه الإعجاز؛ فربَّما يقدِر المتكلِّم على كلامٍ موجزٍ، ويعجَز عن الإتيان بكلامٍ مستطردٍ مُطنَبٍ.

وهذا مثل بعض الشُّعراء؛ يأتي أحدهم ببيتٍ أو بيتَيْن أو ثلاث، فإذا طُولِبَ بمائة بيتٍ أو ألفٍ عَجَز.

فوجود التكرار في القرآن للأمر الواحد، مثل: الأمر بالصلاة، أو الأمر بالإيمان.

أو وجود الأخبار المكرَّرة، مثل: الخبر عن الله، أو الخبر عن الناس؛ كتكرار قصة موسى والأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ.

فهنا لا بد أن نُدرك أنَّ هذا التكرار من حيث الإجمال هو إيضاحٌ وبيان، وتوكيدٌ، ورسوخٌ للمعاني، واستئناسٌ، وكلُّ ذلك سببٌ من أسباب زيادة العلم؛ فإنَّ الحديث عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كلَّما تكرَّر كلَّما ازداد العبد حُبًّا لله -جلَّ فِي عُلاه-، وازداد شوقًا إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وحتى لا نُطيل في هذا الأمر؛ فإنِّي أقول كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ليس في القرآن الكريم تكرارٌ محضٌ أبدًا؛ بل كلُّ تكرار في القرآن وإن كان إطنابًا من جهة تكراره؛ لكنَّه لمعنًى خاصٍّ في موضعه".

ومن أجلِّ أمثلة التكرار التي يُوردها بعض الناس ظنًّا منهم أنَّه تكرار محض:

- ما جاء في سورة الرحمن: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [سورة الرحمن، الآية:١٣].
- أو ما جاء في سورة المرسلات في حقِّ الكافرين في قوله: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [سورة المرسلات، الآية:١٥].
- أو ما جاء في سورة الكافرون من تكرار: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ [سورة الكافرون، الآيتان:٢،٣].
- أو تكرار القَصص.

لكن الأمر كما ذكَرْتُ: أنَّ تعلُّقَ اللفظ المُكرَّر مُغايرٌ، فلمَّا تغايَرَ حسُنَ التكرار لا سيَّما في موضِع الإطناب، وهذا كلُّه يدلُّنا -أيُّها الإخوة- **أنَّ التكرار المحض في كتاب الله** جَلَّ وَعَلَا **ليس له وجود.**

فينبغي على المسلم من حيث العموم، وطالب العلم من حيث الخصوص أن يُدرِكَ أنَّ التكرار المحض لا وجود له في كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فيزدادُ إيمانًا، وتقًى، وصلاحًا، ويبحثُ عن معلَّقات الألفاظ المكرَّرة في نظره؛ فيزدادُ علمًا.

وفي هذا القَدْر كفايةٌ للردِّ على سؤال مَن يسأل عن سبب وجود التكرار في كتاب الله -جلَّ في عُلاه.

ونبَّه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى أنَّ قصة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من أكثر القَصص تكرارًا في القرآن لأسبابٍ:

- **منها**: مُشابهة حال موسى بحال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ من حيث كونهما رسولَيْن.
- **وأيضًا**: من جهة التشريع؛ فإنَّ أكثر التشريعات في الشريعة الإسلامية هي مُقاربة للتشريعات في شريعة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قبل وجود التحريف الذي أوجده اليهودية.
- **والوجه الثالث**: كثرة ما في قصة موسى مع قومه من العِظات والعِبَر.
- **وفي نظري القاصر وجهٌ رابع وهو**: أنَّه -جلَّ في عُلاه- عَلِمَ بقاء اليهود إلى قيام الساعة؛ فحَسُنَ ذِكرُهم وبيان حالهم حتَّى لا يغترَّ بهم أحدٌ لا في الحال ولا في المآل.

ننتقلُ إلى مسألةٍ أخرى من التساؤلات التي قد تَرِدُ في أذهان بعض المُغرضِين أو في أذهان بعض المسلمين ممَّن ضَعُفَ علمهم، وهو: أنَّهم يقولون:

❖ **ما الحِكمة في وجود الأحرُف السبعة في القرآن الكريم؟**

فنقول: أولًا: لا بد أن نعلَم أنَّ كلَّ حرفٍ منها من هذه الأحرُف السبعة بمنزلة الآية مع الآية الأخرى؛ فيجب الإيمان بها كلِّها، ولا يجوز تَرْكها إلَّا إذا ثَبَتَ نسخها أو ثَبَتَ عدم وجودها في مُصحف الإمام.

فقولنا: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [سورة الفاتحة، الآية:٤]، أو ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾؛ لحديث عُمر، وكعب، وأُبَيِّ بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وغيرهم قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ**».

وهنا لا بد للمسلم أن يعتقد أنَّ هذه الأحرُف السبعة لا تتضمَّن تناقُضًا في المعنى؛ بل هي متوافقة المعنى أو متقاربة، وقد يكون متنوِّعة، وكِلَا المعنيَيْن حقٌّ؛ فهو من باب التنوُّع.

مثل: قراءة بعضهم الآية: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾ [سورة الليل، الآيات:١-٣]؛ القراءة العشرية المتواترة.

وقراءة ابن مسعود الشاذَّة، وهي من الأحرُف السبعة المنسوخة؛ لأنَّها غير موافقة للرَّسم ﴿**وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (٢) وَخَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى**﴾؛ فليس هناك أيُّ تناقُضٍ بين الأحرُف السبعة.

والصحيح: أنَّ المراد بالأحرُف السبعة: اللهجات الصحيحة الفصيحة العربية التي كانت موجودة في زمن نزول الوحي، وأذِنَ الله بقراءة القرآن بها، سواء كان ﴿**عَلَيْهِمْ**﴾ أو ﴿**عَلَيْهُمْ**﴾، أو كان ﴿**بُيُوتٍ**﴾ أو ﴿**بِيُوتٍ**﴾، أو كان ﴿**يُوسُف**﴾ أو ﴿**يُوسِف**﴾، ونحو ذلك.

وهذا من فَضْل الله جَلَّوَعَلَا من جهة أنْ وسَّعَ على الأُمَّة في القراءة؛ لا سيَّما ولهجاتهم وهُم أُمَّة أُمِّيَّة لم تكُم مُدلَّلة للنُّطْق بلهجةٍ غير لهجتها.

وأيضًا وجود الأحرُف السبعة في زمن النزول، ثم وجود الأحرُف السبعة أو بعض الأحرُف السبعة في القراءات المرويَّة الآن دليلٌ على إعجاز القرآن.

فالأحرُف السبعة وجودها ليست شُبهة؛ بل وجودها بيِّنة وحُجَّة أنَّ القرآن من عند الله؛ ذلك لأنَّ كلام الناس لا يُقرَأ إلَّا على وجهٍ واحدٍ، وربَّما على وجهين في أكثر وأغلب الأحيان، مثل حديث النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ**» أو «**هَل يُكَبُّ النَّاسُ عَلَى وُجُوهِهِمْ**...»، وهكذا في أشعار العرب، وخُطَب العرب، وكلام العجم، وغيرهم كلُّه يُروَى على وجهٍ واحد، فإن زاد فعلى وجهين.

فوجود الأحرُف السبعة دليلٌ أنَّ القرآن خارجٌ عن أُطُر كلام البشر، وأنَّه كلام خالق البشر -جلَّ في عُلاه-.

إذا تقرَّر هذا لا بد أن نُدرِك أنَّ الصحيح من أقوال أهل العلم: أنَّ القراءات العشرة أو القراءات السبع أو القراءات الشاذة وغيرها هي من الأحرُف السبعة وليست هي الأحرُف السبعة؛ فلا خلاف بين العلماء أنَّ القراءات السبعة ليست هي الأحرُف السبعة التي نَزَلَ بها القرآن الكريم.

وإذا كان الأمر أنَّ وجود الأحرُف السبعة دليلٌ على إعجاز القرآن المُنزَّل فيقرأه الهُذَلي، ويقرأه التَّيْمي، ويقرأه القُرَشي، ويقرأه الأنصاريُّ الخزرجي، والأَوْسي، ويقرأه غطفان، ويقرأه جُهَيْنة ومُزَيْنة وغِفَار؛ كلُّهم يقرأون القرآن وهُم أُناسٌ أُمِّيُّون بلهجاتهم، ومع ذلك نجد القرآن غير مختلفٍ؛ بل نجده مؤتلفًا.

إذا تقرَّر هذا؛ ننتقل إلى تساؤلاتٍ أخرى، وهي:

الحكمة في وجود القراءات.

أولًا: لا بد أن نعلَم أنَّ القراءات السبعة أو القراءات العشرة –يعني: مع الثلاثة المُتمِّمة للسبعة– فيها بعض الأحرُف السبعة؛ فهذه القراءات مشتملة على بعض الأحرُف السبعة، كاشتمال القرآن الموجود بين الدِّفَّتَيْن على المُنزَّل غير المنسوخ لفظًا وتلاوةً؛ فالقراءات السبعة والعشرة هي متضمِّنة لبعض الأحرُف السبعة، كتضمُّن القرآن وتضمُّن المصحف بين الدِّفَّتَيْن القرآن غير المنسوخ تلاوةً.

ولم يُنكر أحدٌ من العلماء قراءة القُرَّاء العشرة؛ وإنَّما أنكروا ما كان خارجًا عن المصحف ولم يصحَّ فيه السَّنَد.

والعجب أنَّ القراءات الشاذة وهي التي فقدَتْ أحد الشروط الثلاثة؛ لأنَّ علماء الإسلام، علماء القراءة وَضَعوا للقراءة الصحيحة المقبولة ثلاثة شروط:

- موافقة رَسْم المصحف.
- **ثانيًا**: اتِّصال السَّنَد.
- **ثالثًا**: موافقة وجهٍ من أوجُه اللغة العربية.

فمتى ما وُجدَتْ هذه الشروط كانت القراءة صحيحة؛ وإلَّا فشاذة.

ولمَّا نقول: «موافقة رسم المصحف»؛ نعني: المصحف الإمام «المُصحف العثماني» المصحف الذي أجمَعَ الصحابة على كتابته.

وهنا ننتبه! أنَّ من إعجاز القرآن حِفْظ هذه القراءات؛ فالله حَفِظَ هذه القراءات بأسانيدها، وبأوجُهها، وبكيفية أدائها، ومن الحِكَم العجيبة الباهرة الدالَّة على أنَّ القرآن كلام الله: أنَّ هذه القراءات مهما كُتِبَتْ فإنَّها لا تُتلَقَّى إلَّا من جهة السماع؛ لأنَّها متعلِّقة بكيفية الأداء والنُّطْق.

ولا بد أن يتَّبع فيه التلميذ شيخه، وشَيخُه شيخَه؛ وهكذا حتى يصل السَّنَد إلى الصحابة، ثم إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعه من جبريل حينما أَمَره الله بقوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [سورة القيامة، الآيات:١٦-١٨]؛ فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتَّبِعُ قراءة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ سَمِع القرآن من الله سَماعًا، فأدَّاه كما سَمِع إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهذا من معاني: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [سورة التكوير، الآيات:١٩-٢١]؛ فهو أمينٌ يؤدِّي كما سَمِع لا يَزيد ولا ينقُص، فقوله في الأداء مسموعٌ من الربِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

فالقرآن وإن كان مكتوبًا في اللوح المحفوظ؛ فكتابته علمٌ، وسماعه أداءٌ؛ فالقراءات العشرة مَن يسأل عن الحكمة فيها نقول: هي متضمِّنة للأحرُف السبعة.

وكونها محفوظة متواترة دليلٌ على حُجِّية القرآن؛ فإنَّه الكتاب الوحيد المنقول بالتواتر عن نبيٍّ من الأنبياء.

مثلًا: «التوراة» الموجودة الآن عند جميع طوائف اليهود لا يمكنهم أن يقيموا إسنادًا متواترًا إلى نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ولا «الإنجيل» الموجود عند طوائف النصارى المختلفة لا يمكنهم أن يقيموا إسنادًا واحدًا متَّصلًا إلى عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فضلًا عن «زَبور» داود، أو «صُحف» إبراهيم.

فوجود القراءات من خصائص الآيات البيِّنات، المتلوَّة، المسموعة، المقروءة في كتاب الله جَلَّ وَعَلَا.

وأيضًا لا بد أن ننتبه! إذا كان القرآن الكريم في الأداء متواترًا، وفي الكتابة متواترًا؛ فإنَّه في الحِفظ متواترٌ، وهو في المعنى متواترٌ.

ولهذا ذَكَرَ شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنَّ القرآن منقولٌ بالتواتر لفظًا ومعنًى.

والقراءات الأصول، سواءٌ:

ما تنوَّع صفة النُّطق بها: كالممدود، والهمزات، والإمالات، ونَقْل الحركات؛ هذه تسمَّى «الأصول»، والإظهار، والإدغام، والاختلاس، وترقيق اللامات والرَّاءات وتفخيمها، ونحو ذلك؛ هذه هي «أصول القراءات العشرة»، وما عداها ففَرْشٌ.

ومعنى الفَرْش هو: الكلمات التي يقلُّ دورها، وتكرارها من حروف القراءات المُختَلَف فيها في القرآن الكريم، ولم تضطرد.

إذًا وجود الأحرُف السبعة من باب قلب الدليل على السائل الذي أراد أن يعترض على المسلمين في كتابهم. **فنقول**:

وجود الأحرُف السبعة: دليلٌ على الإعجاز.

ووجود القراءات العشرة ونَقْلها متواترًا: دليلٌ على الإعجاز أيضًا.

ثم ننتقل إلى مسألة أخرى وهي:

مسألة وجود النَّاسخ والمنسوخ في القرآن الكريم.

فقد زَعَمَ بعض الناس أنَّ وجود النَّاسخ والمنسوخ في القرآن أمرٌ مُشكلٌ من حيث إنَّهم يقولون: إنَّ الله جَلَّوَعَلَا علَّام الغيوب؛ فلماذا يُشرِّع شيئًا ثم ينسخه؟

والجواب على هذا الاعتراض موجود في كتاب الله جَلَّوَعَلَا؛ لأنَّ أول مَن اعترَض بالنَّسخ أو على النَّسخ هُم المنافقون واليهود لمَّا نَسَخَ الله استقبال القِبلة من بيت المقدس وجعلَه إلى الكعبة؛ فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بيَّن الحِكمة في هذا النَّسخ، وهذه الحِكمة في هذا النَّسخ على وجه الخصوص يصحُّ أن تكون حِكمةً في عموم النَّسخ؛ فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ [سورة البقرة، من الآية:١٤٣].

إذًا وجود النَّاسخ والمنسوخ من أعظم الحِكم «الابتلاء» ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾.

وأيضًا لا بد أن نُدرك أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليمٌ بما كان، وما هو كائنٌ، وما سيكون، وما لم يكُن لو كان كيف يكون؟ وإنَّما يأمُر بحُكمٍ لمناسبة الحال ثم يَنسخه إذا تغيَّر الحالُ.

مثل قوله جَلَّ وَعَلَا في نَسْخ المواجهة مع الكُفَّار: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ﴾ [سورة الأنفال، من الآية:٦٥]؛ الواحد في مقابل عشرة، ثم نُسِخَ هذا الحُكم فقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ﴾ [سورة الأنفال، من الآية:٦٦].

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بيَّن الحِكمة في النَّسخ في أول سورة البقرة في قوله سبحانه: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة البقرة، من الآية:١٠٦]؟

الجواب: بلى، علِمنا أنَّ الله على كلِّ شيءٍ قدير، ومن ذلك: قُدرته على تغيير الأحكام الشرعيَّة؛ فهو قادرٌ أن يأمُرنا بخمس صلواتٍ، ثم قادرٌ أن يأمُرنا بعشر صلوات أو بصلاتين.

ثم نقول لهذا المعترض على وجود النَّاسخ والمنسوخ في القرآن، نقول: إنَّك لا تعلم الحِكمة من وجود الناسخ والمنسوخ، وهي:

- الابتلاء.
- العلم بقُدرة الله.
- العلم بحِكمة الله.

فيشرع الشيء لحِكمة، ثم يَنسخه لحكمة، ثم نقول -لا سيَّما إن كان المعترض يهوديًّا أو نَصرانيًّا-: أليس أنتم يا معاشر اليهود تزعمون أنَّ شريعة موسى نسَخَتْ الشرائع السابقة؟! فكيف تعترضُون وتقولون: لماذا يوجد النَّاسخ والمنسوخ في كتابكم؟!

وهكذا نقول للنَّصارى: كيف تعترضون على وجود الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم وأنتم تعتقدون أنَّ في الإنجيل ما هو ناسخٌ لِمَا في التوراة؟!

وقد أخبر الله جَلَّوَعَلَا عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّه قال: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم﴾ [سورة آل عمران، من الآية:٥٠]؛ فهو يُحِلُّ لهم أشياء كانت حرامًا عليهم.

ولا يُنكر الحِكمة من النَّاسخ والمنسوخ إلَّا مَن نسَخَتْ فِطرته؛ ولكن لا بد أن ننتبه إلى أمر:

الأول: أنَّ الآيات المنسوخة حُكمًا في القرآن الكريم كما قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا تصِلُ إلى عشر آياتٍ».

وأيضًا لا بد أن ننتبه! أنَّ -وإن كنَّا نعتقد بوجود النَّاسخ والمنسوخ في القرآن-؛ فإنَّ وجود المنسوخ حُكمًا في القرآن:

- حِكمته الابتلاء.
- حِكمته التعبُّد بتلاوة الآية.

فهو سبحانه يرفع ما يشاء، ويُبقِي ما يشاء من شَرْعه حُكمًا، ومن كلامه المُنزَّل قولًا؛ كما قال جَلَّوَعَلَا: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [سورة الأعلى، من الآيتين:٦-٧]؛ أي: لكن ما شاء الله أن تنساه؛ تنساه؛ فالله جَلَّوَعَلَا أوجَدَ النَّاسخ والمنسوخ في القرآن، المنسوخ الموجود في القرآن، المنسوخ حُكمه الموجود بقاء تلاوة آياته هذه لحِكمة الابتلاء، ولحكمة التعبُّد والتلاوة.

لكن لا بد أن ننتبه -معاشر المسلمين والمسلمات، والمُنصفِين والمُنصفات- أنَّ النَّسْخ في دِين الله جَلَّوَعَلَا غير واردٍ على الأصول الجامعة؛ فلا يدخُل النَّسخ في الأصول الجامعة:

- كالأمر بعبادة الله تعالى.
- وبِرِّ الوالدين.
- والصِّدق.
- والعدل.

ولا يدخُل النَّسخ في الأخبار المحضة أبدًا، سواءٌ كانت ماضية، أو حادثة، أو مُستقبلية.

ولا يدخل النَسخ في الأصول الجامعة؛ لأنَّ العقيدة لا تختلف من زمنٍ إلى زمن؛ إنَّما الاختلاف في العبادات وأوجُهها.

لا يمكن أن يكون الصِّدق مذمومًا في شريعة، مأمورًا به في شريعةٍ أخرى.

لا يمكن أن يكون العدل مذمومًا في شريعة، مقبولًا ممدوحًا في شريعةٍ أخرى.

لأنَّ هذه أصولُ جامعة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾ [سورة النحل، من الآية:٩٠]؛ فلا يدخُل النَّسخ في باب الاعتقادات، ولا في باب الأصول الجامعة في الأخلاق.

كما لا يدخُل النَّسخ في الأخبار المحضة: فلا يمكن أن نجدَ في القرآن أنَّه أخبر عن آدم أنَّه فعَلَ كذا، ثم يُخبر أنَّه لم يفعل كذا. هذا من حيث الأخبار الماضية.

كذلك لا يمكن النَّسخ في الأخبار المستقبلية: فلا يمكن أن يأتي خبر ويقول: «سيحصُل كذا وكذا يوم القيامة» ثم يأتي خبرٌ آخر ويقول: «لا يحصُل كذا وكذا».

وعلم النَّاسخ والمنسوخ علمٌ عظيم، حتى قال أبو عبد الرحمن السُّلَميّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ -وهو الذي جلَسَ ثلاثين سنة مع وجود الصحابة في مسجد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يُقرئ الناس القرآن، وقد أخَذَه عن عثمانَ وعليٍّ وأُبَيِّ بن كعبٍ وابن مسعود، وأمثالهم- يقول: «انتهَى عليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ إلى قاصٍّ وهو يقُصُّ -يعني: واعظ- فقال: «علِمْتَ النَّاسخ والمنسوخ؟ قال: لا. قال: هلَكْتَ وأهلكت».

إذًا... وجود المنسوخ في القرآن الكريم لحِكَمٍ عظيمة ذَكَرها العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ .

ونكتفِي بهذا القدر اليوم إن شاء الله، ونُكمل بعض التَّساؤلات في الغد.

ونسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يرزقنا وإيَّاكم العلم النَّافع والعمل الصالح، وأن يرزقنا وإيَّاكم الفَهْم عنه وعن نبيِّه.

وصلِّ اللهُمَّ على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.

الدورة العلمية

تساؤلات وشُبهات متعلِّقة بالقرآن الكريم

لفضيلة الشيخ د. محمد هشام طاهري

ملحوظة: الشيخ لم يطلع على التفريغ لأي ملاحظة التواصل مع

(٠٠٩٦٥٥٠١١٠١٣٠)

المجلس الثالث والأخير

الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله وسلَّم وبارَك وأنعَم على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد...

هذا هو اللقاء الثالث والأخير في هذه الدورة المباركة التي هي بعنوان: [**تساؤلاتٌ وشُبهاتٌ متعلِّقة بالقرآن الكريم**].

وكما ذكرت فإن هذه التساؤلات وهذه الشبهات يزداد طالب العلم علمًا، ويعلم بعد البحث عن جوابها أن هذا القرآن هو كلام الله جَلَّوَعَلَا، لا سيما إذا لم يجد السؤال على التساؤل ورد الشبهة إلَّا بالرجوع إلى أهل العلم الراسخين، فيجد الجواب المُبين.

ومن التساؤلات التي ربما يتسائلها البعض وهي من شبهات المُلْبِسِين أنهم يقولون: إن التوراة أُنزل مكتوبة، والإنجيل أَنزله الله مكتوبًا، وأمَّا القرآن فوحيٌ أوحاه الله جَلَّوَعَلَا ولم يكن مكتوبًا، ويريدون من وراء ذلك أمرين:

أحدهما: لماذا ليس القرآن كالكتب السابقة.

وثانيهما: أن في عدم إنزاله مكتوبًا ربما يكون سببًا في نقصه -عياذا بالله تعالى- أو زيادةٍ.

وأما الجواب على الشق الأول: وهو أن القرآن الكريم لم يُنزله الله مكتوبًا كالكتب السابقة؛ فبين الله جَلَّوَعَلَا الحِكمة في ذلك بقوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ [سورة الفرقان، من الآية:٣٢]؛ يعني: دفعة واحدة مكتوب آياتها وسورها.

قال جَلَّوَعَلَا في سورة الفرقان مُبينًا الفرقان الذي من أجله لم يُنزل الله القرآن جملةً واحدة: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾ [سورة الفرقان، من الآية:٣٢]؛ فكون القرآن أُنزل شيئًا فشيئًا كان ذلك سببًا في تثبيت فؤاد النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ والمؤمنين.

وكان في ذلك تيسيرًا عليهم في تلاوته شيئًا فشيئًا، بل كان ذلك من أعظم أسباب حفظه في الصدور؛ فحفظه الصحابة - رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ-.

ثم نقول: إن الله جَلَّوَعَلَا أَنزل الكتب السابقة جملةً واحدة مجموعًا مكتوبة، ما الذي حصل من أهل الكِتَابَيْن؟

الذي حصل من أهل الكتابين أنهم بعد ما استُحفظوا الكِتَابَيْن ضيَّعوا الكِتَابَيْن؛ لأنهم اعتمدوا على المكتوب ولم يهتموا بحفظه، وحينئذٍ سَهُل على من أراد نسخ التوراة والإنجيل أن يزيد فيه حرفًا أو حرفين، أو يُنقص منه حرفًا أو حرفين أو أكثر فتتغير المعاني، وهذا هو أحد الأسباب أنَّا نجد الاختلافات بين نسخ التوراة ونسخ الإنجيل.

أما القرآن الذي أَنزله الله جَلَّوَعَلَا شيئًا فشيئًا، فإن الصحابة -رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ- كانوا جُل اعتمادهم وعُظْمُ اهتمامهم هو بحفظه في الصدور.

ثم إن الله جَلَّوَعَلَا -وهذا جواب على الشق الثاني من التساؤل-، لماذا لم يُنزل الله جَلَّوَعَلَا القرآن جملةً واحدة مكتوبًا، فإنهم يزعمون أن الصحابة إذا كتبوه ربما زاد عندهم شيئًا أو نقص؟

ونحن نجاوب على هذا من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أن الله جَلَّوَعَلَا هو الذي تولَّى حفظ القرآن جمعًا وكِتابةً، وذلك في قوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [سورة القيامة، من الآية:١٧]، وكلمة: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾؛ يتضمن جمع القرآن بعدما أُنزل مفردًا ويتضمن كتابة القرآن كلما نزل منه شيء، فهيئ الله من جمع القرآن وهيئ الله من كتب القرآن من علماء الصحابة وأَجِلتهم، وحفَّاظهم وكُتَّابهم، ولذلك نجد أنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

فلا يمكن لأحدٍ من البشر أن يُثبت أن هذه الآية سَقطت من النسخة المطبوعة في الصين، وهي موجودة في النسخة الغربية مثلًا، أو يقول: هذه نسخة زائدة عن النسخة التي كانت في القرن الثالث أو الرابع أو الخامس أو السادس الهجري مثلًا.

ونُسَخ القرآن كلها من زمن الصحابة -رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ- بعدما كتب المصحف في المصحف الإمام إلى يومنا هذا لم يَزِد فيه حرفٌ ولم ينقص منه حرف، ولو رام أحدٌ من الناس أو قصد التحريف بالزيادة أو النقصان لفضحه الله جَلَّوَعَلَا بين الإنس والجان.

بل نقول لكل من يُشكك في حفظ القرآن بسبب جمعه أو كتابته نقول:

يَا نَاطِحَ الْجَبَلَ الْيَوْمَ لِيُوْهِنُهَا أَشْفِقْ عَلَى الرَّاسِ لَا تُشْفِقْ عَلَى الْجَبَلِ

فإن القرآن إذا أخطأ فيه إمام المسجد يرد عليه الصبيان المسلمين، أو ليس هو ككتبكم التي لا يحفظها إلا القلة الناثرة من فطاحلكم.

فلو أخطأ إنسان ما في القرآن في مسجد لرد عليه صبيان المسلمين، فضلًا عن حفاظهم فضلًا عن علمائهم، وهذا بخلاف التوراة والإنجيل والزبور، وبخلاف كتب البراهمة أو كتب الهندوس وغيرهم.

وإذا كان الله جَلَّوَعَلَا تولَّى جمع القرآن الكريم، فإنَّا ننظر إلى الطريقة الحسنى التي ألهم الله الصحابة؛ فجمعوا فيها القرآن.

ونحن نعلم -كما مر معنا في الدرس السابق- أن في القرآن الكريم ما هو ناسخٌ ومنسوخ، فكيف أبقَوْا آياتٍ منسوخة الحكم باقية التلاوة، ولم يكتبوا آيةً أو آيات باقية الحكم منسوخة التلاوة؟

إذا نظرنا إلى هذا نستيقن أن ما في المصحف هو الجمع المراد من الله تعالى، مَنْ الذي ألهم الصحابة وهم أمةٌ أُمِّيَّة لم يسبق لهم أن كتبوا كتابًا؟

ولهذا نجد في تراث العرب قبل الإسلام لا نجد كتابًا مدونًا، غاية ما عندهم صحيفة، ورقة، صخرة مكتوبٌ عليها أشياء، بل لم يكونوا يعرفون الكاغد الورق، ولم يكونوا يعرفون الجلود ليكتبوا عليها إلَّا شعرًا أو نثرًا في آحادٍ من الناس يُشار إليهم.

وأُمَّةٌ أُمِّيَّة اهتدت إلى طريقةٍ عظيمةٍ بديعةٍ في القرآن الكريم لجمعه نجزم بأن هذه آية من آيات الله، وبرهانٌ من البراهين الدالة على أن القرآن كلام الله يسر هؤلاء الأمة الأمية فجمعوها.

جمعوها بحيث أنهم لم يكتبوا بين الدفتين إلا ما كان في العرضة الأخيرة، وما كان قبل ذلك متلوًّا فهو -إذا لم يوجد في المصحف- فهو منسوخ:

- إما حكمًا وتلاوة، وهو الأكثر.
- وإما منسوخٌ تلاوةً دون الحكم، وهو الأقل والنادر.

أما القرآن المكتوب فهو القرآن المعروف في العرضة الأخيرة كما قالت عائشة -رضي الله تعالى عنها- وغيرها من الصحابة والصحابيات: "كان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يعرض القرآن في رمضان على جبريل كل سنةٍ مرة، فلما كان العام الذي توفي فيه عرضه مرتين"، وفي هذه العرضة وبعدها كان من أخص الناس بالنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ هو زيد بن ثابت الذي كان رئيسًا للكَتَبة في جمعه القرآن.

نقول: لم يُجمع القرآن في مكانٍ واحد في زمنِ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، والسبب في ذلك لأن القرآن كان ينزل شيئًا فشيئًا، وينسخ الله منه ما يشاء، فلم يُجمع لهذه العلة، فلما تُوفي النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ زال السبب، ووُجد الداعي لجمعه، فجُمع بعد وفاته صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وهذه هي القاعدة في المصالح المرسلة.

ما هي قاعدة المصالح المرسلة الشرعية؟

أنه متى ما وُجد الداعي ووُجد السبب وزال المانع؛ فإنه ينبغي العمل بهذه القاعدة.

وهذا القرآن الذي جمعه الصحابة -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ- كان مكتوبًا كله، ليس عند واحدٍ من الصحابة، بل عند عدد من الصحابة يبلغون مبلغ التواتر بالإجماع.

فكُتَّاب الصحابة الذين يكتبون القرآن بين يدي النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ جاوزوا الثلاثين، ولنتأمل الآن أن هناك ثلاثين من الصحابة كانوا يكتبون عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كلما يأمرهم بكتابة شيءٍ من القرآن.

ولو تصورنا أن كل واحدٍ من هؤلاء الكُتَّاب يكتب عنه اثنين من الصحابة، فسيبلغ عدد الكتاب كم؟ ثلاثين، ثم في اثنين، يعني تسعين صاروا، وهذا في زمن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فالنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كان يأمر الكُتَّاب أن يكتبوا القرآن الكريم، فكانوا يكتبونه فيما تيسر مما كان متاحًا في زمانهم من أدوات النسخ والكتابة، وكان من حرصه عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ ومن حفظ الله عَزَّوَجَلَّ للقرآن أنه كان ينهاهم عن أن يكتبوا شيئًا مع القرآن حتى كلامه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، بل كان يأمر بمحو كل شيءٍ غير القرآن مما يكون مع القرآن.

ولهذا الأحاديث التي فيها النهي عن كتابة الحديث ينبغي أن يُحمل على هذا المحمل.

إذًا القرآن كله مكتوب في زمن الصحابة، كتبه عددٌ من الصحابة، فلما كان مكتوبًا! فلا يأتي أحد ويقول: لماذا القرآن لم يُكتب إلا متأخرًا؟ نقول: القرآن مكتوب في زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ما ينزل آية إلا ويأمر فلانًا وفلانًا أن يكتبوها.

ثم يُعلِّم البقية، فكل كاتبٍ منهم يذهب إلى بيته، أو يجد شيئًا يكتب عليه فيحفظه، ومن هنا جاء ما يُعرف بمصاحف الصحابة -رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ-، فكان لابن مسعود مصحف، ولزيدٍ مصحف، ولعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مصحف، ولعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مصحف، ولعبد الرحمن بن عوف مصحف، ولأُبي بن كعبٍ مصحف، كل واحد منهم كان بحسب قدرته واستطاعته يكتب ما يسمع من القرآن في اللخاف والجلود والعظام ونحوها، مما يمكنهم.

إذًا القرآن كله مكتوب في زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فإن قال قائل: فما دام القرآن كله مكتوب، فكيف تقولون: إن الجمع إنما كان في عهد الصِّدِّيق؟

الجواب: أن المكتوب عند الصحابة -رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ- هو مكتوبٌ ما سمعوه، سواء كان المكتوب منسوخًا، ولم يعلم بنسخه في العرضة الأخيرة، أو كان المكتوب معه بعض التفاسير حيث إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد ذلك أَذِنَ بالكتابة، فربما أحدهم كان يكتب في حاشية ما كتب تفسيرًا أو حديثًا ونحو ذلك.

ولهذا نقول: إن جمع القرآن في عهد الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان قائمًا على أمرين:

الأمر الأول: خلو هذا الجمع من أي شيءٍ غير القرآن فأهملوا فيه ما كان من التفاسير، وأهملوا ما كان مكتوبًا فيه من الأحاديث.

والأمر الثاني: أن هذا الجمع كان خلوًا من كل آيةٍ منسوخ تلاوته وحكمه.

وكان لهذا الجمع سبب في عهد الصديق هو موت كثير من القُرَّاء في حروب الرِّدَّة، كما جاء ذلك في حديث زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الصحيحين، لا سيما في غزوة اليمامة، أشار عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على الصِّدِّيق بجمع القرآن الكريم في مكانٍ واحد.

إذًا المقصود الآن بهذا الجمع: أن يكون في مكانٍ واحد، بدال ما كان في جلدٍ عند فلان، وعظمٍ عند فلان، ولخافٍ عند فلان، يُجمع في مكانٍ واحد لا سيما بعدما تعرفوا على الأوارق وعلى الكاغد الذي كان في بلاد فارس.

وكان من مقاصد هذا الجمع حتى يكون مرجعًا للأمة حتى لو مات القُرَّاء يكون القرآن مكتوبًا، يحفظون منه القرآن، وينسخون منه القرآن، فتكون هي النسخة الأم التي يتصدَّرون عنها، فيصبح هذا القرآن المكتوب الذي أشار به عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجُمع في عهد الصِّدِّيق بمثابة ما يُعرف اليوم في الدول المتقدمة بـ(الجريدة الرسمية للدولة).

فصار المصحف الإمام المصحف الذي إليه المرجع، هو المصحف الذي جُمع في عهد الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فتحقَّق بهذه المشورة العُمرية، وأخذ بها الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فتحقَّق وعد الله الصادق في قوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾[سورة القيامة، من الآية:١٧]؛ فصار بعد ذلك هذا المصحف عند أبي بكر، فلما مات أبو بكر صار هذا المصحف عند عمر، فإذا ما وقع ظن في حفظ بعض الصحابة أو التابعين يرجعون إلى ما في هذا المصحف، إذا لم يجدوا من يرجعوا إليه من الصحابة الحُفَّاظ فيعتمدونه.

وهُنا يأتي سؤال: هل كان هذا المصحف مُرتبًا؟

الجواب: لم يكن هذا المصحف مُرتب؛ يعني: كل سورةٍ كُتبت في مكان لكن هذه السور لم تكن مُرتبة في الجمع الأول في زمن أبي بكر -رضي الله تعالى عنه-.

وقال بعض العلماء: بل إنه كان مرتبًا، لكن حديث عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما سأله بعض الصحابة: لماذا عمدتم إلى الأنفال والتوبة فلم تكتبوا بينهما: (بسم الله الرحمن الرحيم)؟

فقال عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا ابن أخي! إنَّا كنا نكتب كما نسمع، إذًا حتى عدم كتابة البسملة توقيفية، فهذا دليل على أن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إنما هو الذي رتَّب هذا الترتيب للمصحف.

وهل هذا الترتيب الذي صار في عهد الصحابة -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ- في عهد عثمان توقيفيٌّ أو اجتهادي؟

الجواب: أن جُلَّه توقيفي بالنص، أليس عندنا في الصحيحين قوله ﷺ: «**اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ وَآلِ عِمْرَانَ**»؟! فهذا نصٌّ من النبي ﷺ بترتيب البقرة وآل عمران.

أليس النبي ﷺ كان يقرأ ويقرن بين السورتين؟! ولما ننظر لهذه السور المقرونة نجدها مرتبة بهذا الترتيب الموجود في المصحف.

وكان ابن مسعود -رضي الله تعالى عنه- يقول: "إنهن من التلاد الأول"، ويذكر هذه السور مقرونةً بحسب ما هو مرتب في المصحف.

كذلك كان النبي ﷺ يقرأ بـ (الأعلى) و(الغاشية) مرتب، يقرأ بـ (السجدة) و(الإنسان) بترتيب المصحف، يقرأ عليه الصلاة والسلام بـ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [سورة الكافرون]، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص]؛ مرتبًا بترتيب المصحف، يقرأ عليه الصلاة والسلام بـ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [سورة الفلق]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [سورة الناس]؛ كما في حديث -نسيته اسم الصحابي- لكن في مسند الإمام أحمد وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قرأ بـ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾؛ في سفرةٍ، وقرأ في الأولى بـ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، وفي الثانية بـ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾؛ وهكذا غيرها من السور.

قال: «**شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا**»، فلما سُئل عنها ذكرها عليه الصلاة والسلام كما في الحديث بالترتيب الذي بين أيدينا في المصحف، وما لم يأتِ فيه نصٌّ فإنه أيضًا توقيفيٌّ.

قد يقول قائل: كيف يكون توقيفيًا ولم يأتي فيه النص؟

الجواب: أن التوقيف يُعلم من جهتين:

الجهة الأولى: النص من الآية، أو من الحديث.

والجهة الثانية: الإجماع، فالإجماع حُجة في التوقيف، بل هو أعظم حُجة، وإجماع الصحابة على هذا الترتيب حُجة قاطعة، فإن عثمان رضي الله عنه لما انتشر المسلمون ووصلوا إلى أرمينيا وأرزبيجان وهناك وقع نوع نزاعٍ بين المسلمين فكلٌّ كان يُرجِّحُ قراءته، وكلٌّ كان يُرجِّحُ ترتيبه، فجاء حذيفة رضي الله عنه وطلب من عثمان رضي الله عنه وهو خليفة المسلمين في السنة الثانية والثلاثين من الهجرة

النبوية جمع الناس على مصحف، وطلب من عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ جمع الناس على مصحف، يكون مرجعًا لا يخرج عنه المسلمون لا في الترتيب ولا في القراءة، ولا في الأداء، ولا في التحكم.

فاستشار عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الصحابة الموجودين ومن ضمنهم علي، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة، والزبير، وسعد بن مالك، وسعد بن أبي وقاص، هؤلاء العشرة المبشرين بالجنة ممن بقي منهم، وآخرين من الصحابة كأُبي بن كعبٍ، وزيد بن ثابت وغيرهم -رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ- ممن كانوا في المدينة.

فلما استشارهم كلهم رأوا أنه لا بد من جمع الناس على مصحفٍ واحدٍ مرتبًا، وأن يرجعوا إلى هذا المصحف فيكون إليه المرجع والمآل، فكتبوا المصحف على ترتيب العرضة الأخيرة، وأرسلوا إلى كل مصرٍ نسخة يُعتمد عليها، وأحرقوا النسخ الأخرى التي كانت مخلوطة بالتفسير أو بالمنسوخ أو بالقراءات التي لم تكن في العرضة الأخيرة، فأصبح مصحف الإمام المصحف العثماني خلوًا من التفسير، وليس فيه ذِكر المنسوخ تلاوةً، وليس فيه ذِكر الأحرف التي ليست في العرضة الأخيرة.

وهذا المصحف الإمام المصحف العثماني هو الذي عليه اعتماد الأمة بالإجماع، مكتوبٌ بلغة قريش، ومن توهَّم أنه مكتوبٌ خطئًا فهو وهمٌ منه، فإن المصحف الإمام عُرض على حفَّاظ الصحابة والتابعين، وما قال أحدٌ منهم فيه خطأ، فعلمنا أن الرسم المحفوظ هو المعتمد، وما كان للصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أن يقرءوا بغير ما سمعوا، ولا أن يكتبوا بغير ما يريده الله تعالى.

ومن هُنا لا بد أن نُدرك أن كتابة المصحف إنما أصبح في عهد عثمان بلغة قريش، وهذه مَيزةٌ أخرى من ميزات المصحف الإمام، حتى قال عثمان للنفر الذين يكتبون بين يديه قال: "إذا اختلفتم أنتم وإياهم فاكتبوه بلغة قريش، فإنه أول ما نزل، نزل بلغة قريش".

فمراعاة خط المصحف حين كتابة القرآن الكريم أمرٌ متفقٌ عليه، وذلك لكون التلاوة طريقها الاتباع، ولكون رسم المصحف يحمل شيئًا من الأحرف السبعة، ولذلك كُتب بلغة قريش.

وهُنا أنبه! أن ما ينقل من بعض الصحابة كابن مسعود، أو علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أو أُبي بن كعب أنه كان بمصاحفهم كذا وكذا.

فنقول: إن هذا كان قبل العرضة الأخيرة، وما ليس في المصحف العثماني المجمع عليه من الصحابة ومن بعدهم من التابعين فإنه يُعامل معاملة الحديث، سواءً قلنا إنه مرفوع، أو قلنا إنه موقوف.

فمثلًا في قراءة ابن مسعود: (فصيام ثلاثة أيامٍ متتابعات)، نعتبر كلمة (متتابعات) تفسيرًا من ابن مسعود، أو مرفوعًا إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وليس من المصحف.

فإن قال قائل: فإن بعض الصحابة -رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ- دخلوا على عثمان عدم مشاركته في الكتاب كابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

نقول: إن كون عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اختار زيد بن ثابت وكتب الآخرين: إنما تم على مرأى ومنظرٍ ومسمعٍ من العشرة المبشرين بالجنة، الموجودين منهم، فحينئذٍ اعتراض ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليس في محله، وهو اجتهادٌ منه وهو معذور في ذلك، لكن لا بد أنا ننتبه أن ما يُنقل عن ابن مسعود مما في صحيح البخاري وغيره معلقًا أنه أنكر أن تكون المعوذتان من القرآن، نقول: هذا محمولٌ منه على علمه قبل علمه بالعرضة الأخيرة الموجودة في المصحف الإمام، وإلا فإن أبا عبد الرحمن السُّلمي وهو أحد الذين إليهم المرجع في القراءات من التابعين، فإن في روايته عن ابن مسعود إثبات المعوذتين وهي قراءة متواترة عن أبي عبد الرحمن السلمي عن عبد الله بن مسعود، فلا نترك المتواتر لحديثٍ صحيح نقول: لحديث صحيحٍ، وإنما نأخذ بالمتواتر والحديث الصحيح نحمله على وجهٍ يمكن قبوله كقولنا: إنه كان منه قبل علمه بإجماع الصحابة الذين كانوا في المدينة في زمن عثمان حين كتبوا المصحف الإمام.

أو قبل علمه بالعرضة الأخيرة، ولذلك قال علي -رضي الله تعالى عنه- قال: "أيها الناس! لا تقولوا في عثمان إلا خيرًا"، وقال هذا الكلام في خلافته، قال: "لا تقولوا في عثمان إلا خيرًا، فوالله ما فعل الذي فعل إلا على مرأى ومسمع منا"، يعني: ما أحرق المصاحف إلا باتفاقٍ من الصحابة -رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ-، وخيرًا قد فعل -رضي الله تعالى عنهم أجمعين-.

فهم والله كانوا أحرص منا على الدين، وكانوا أعلم منا بالمصالح.

فإن قال قائل: فإن في إحراق المصاحف الأخرى فواتًا لعلمٍ.

نقول: كل علمٍ، بل كل آية، وكل حديثٍ فضلًا عن علوم الصحابة مما لم يصل إلينا؛ فإن ذلك هو الخير، وأما ما تقوم به الحُجة فإنها محفوظة باقية إلى قيام الساعة.

ونقول: أختم الحديث -أيها الإخوة- بالطريقة البديعة المسبوكة في جمع الصحابة القرآن، فزيدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي تولى كتابة المصحف في المرة الأولى في زمن أبي بكر، وفي المرة الثانية ترأس اللجنة العلمية في زمن عثمان ما كان يقبل مصحفًا بمجرد حفظه، أو حفظ من معه من الذين كانوا معه في اللجنة، أو حفظ أدلة الصحابة، بل كان لا يقبل شيئًا إلا بحفظٍ موافقٍ للعرضة الأخيرة، وكتابةٍ موافقةٍ للعرضة الأخيرة، فلله دَرُّهُم، ما أجل علمهم! وما أعظم عملهم في خدمة كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى!.

ثم -أيها الإخوة- إن الذي ينظر بإنصافٍ إلى هذا القرآن الذي كُتب في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم نُقي مما لم يكن، ثم جُمع في مكان واحد في عهد الصديق لم رُتب ونُقي في زمن عثمان من كل ما ليس في العرضة الأخيرة؛ ليستيقن أن هذا القرآن بهذا الجمع المبارك هو تحقيقٌ لوعد الرحمن: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [سورة القيامة، من الآية:١٧]؛ ليستقينوا أنه تحقيق لوعد الله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [سورة الحجر، من الآية:٩]؛ كيف هدى الله الأمة الأُمية إلى هذه الطريقة المبتكرة التي لا يستطيعها إلا نادرًا في المجتمعات حتى اليوم.

لو نتأمل اليوم نجد أن اللجان العلمية التي تنظر في الكتب لا تكاد تزيد عن ثلاث، وإن زادت إلى أربع، بينما اللجنة العلمية التي كونها عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان هو رئيسها المباشر، وزيد بن ثابت -رضي الله تعالى عنه- كان هو الكاتب ورئيس الكَتبة، ثم معه ثلاثة آخرون، واثنان منهم كان من أهل قريشٍ حتى يُكتب القرآن بلغة قريشٍ، وواحدٌ منهم كان من أهل الأنصار الذين نزل في دورهم أواخر القرآن وما كان في العرضة الأخيرة.

ثم كيف أنهم جميعًا أذعنوا لأمر عثمان، فلم يخبئوا مصاحفهم وأتوا بها إلى عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في المدينة وأحرقوها، هذا كله دليلٌ على أنهم كانوا طيبي الأنفس، مطيبين بما يفعلون، وإلا يمكن لأحدهم أن يغل مصحفه.

وما رُوي عن ابن مسعود أنه كان يقول: "أيها الناس! غلوا مصاحفكم فإنه من يغلل يأتي بما غل يوم القيامة".

نقول: هذا قبل علمه باتفاق الصحابة وإجماعهم، وموافقة علي، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وسعد بن مالك، وبقية العشرة كطلحة والزبير -رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ- بهذا الاتفاق، وإلا فلا يتصور من مثل ابن مسعود علمًا وإمامةً أن يُخالف هؤلاء الأجلة، وأن يخالف الإجماع.

نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح.

هذا ما تيسر الكلام عنه، ثم إني في ختام هذه الدورة أشكر الإخوة القائمين على هذه الدورة المباركة في مركز (**سُرُج**) للمذاهب الفكرية المعاصرة، وجهودهم مشكورة وأعمالهم مبرورة، وشكر الله لهم وبارك فيهم، وشكر الله لكم حُسن الاستماع.

وصلِّ اللهُمَّ على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.